العولمة وأهدافها

د. محمد خزار

رئيس جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة

مقدمة :

إن مفهوم العولمة أثار العديد من التساؤلات، وصنع دوامة لازالت تثير القلق والتوتر لدى اقتصادي دول السوق الناشئة.

وإذا نظرنا إلى العولمة كظاهرة إجبارية تجتاح العالم وتختلف عن مفهوم التعولم كعملية إرادية مخططة، فإن العولمة لا تتيح الاختيار الحر، ولا تعترف بالتكافؤ، ولكنها تقترن بالسيرورة التي هي حركة مصير ونتيجة حتمية للأشياء.

والعولمة ليست فقط مآل ونهاية، ولكنها أيضا كانت وستضل هدفا مصاحبًا لكل قوة أرادت أن تنفرد وتستحوذ على العالم.

أي أن العولمة بهذا المفهوم ستصبح تحديًا للتاريخ، وتحديا للجغرافيا وتحديًا للنماذج والقوالب المألوفة والمعتادة، مما يعني مزيدا من القلق أمام العقول التقليدية الجامدة.

لأن العولمة في مفهومها العميق تقودنا إلى عالم جديد، عالم من الحرية ومن الغنى ومن العلم، عالم مليء بالسعادة البشرية عندما يتحول العالم كله إلى وحدة واحدة. إلى كيان فاعل ومتفاعل، الجميع داخله سكان يعيشون في خير ويسر، له نفس الحقوق، وعليهم ذات الواجبات ولكن هذا قد يتعارض مع بعض القضايا الأساسية التي تعترض طريق البشرية مثل: الجوع، الفقر، المرض، الجهل، وعدم وجود منظمات ومؤسسات تراعي حقوق الإنسان والتلوث البيئي، والجريمة الفردية والمنظمة بجميع أشكالها.

وهذه القضايا قد تؤدي إلى تصارع واحتكاك بالغ الحدة، ما بين ظاهرتين عالميتين هما :

1. زيادة التفتت والتفكك لاقتصاديات الدول النامية واقتصاديات الدول التي كانت تنتمي إلى التخطيط المركزي وهذا يؤدي إلى اهتزاز دور الدول نظرا لعدم قدرتها على الوفاء باحتياجات مواطنيها.
2. الوفرة الفائقة لاقتصاديات الدول المتقدمة وازدياد معدلات نموها ومعدلات نفوذها وقوتها التأثيرية البالغة.

ومن خلال هذا يجب أن يفهم أن العولمة تفرض تحديات جديدة تتجاوز حدود الجغرافيا، وتتجاوز فواصل الزمن والوقت وهي تفرض ضغطا على الحكومات والشعوب، ومن ثم فإن العولمة لا يترتب عليها تخلي الدولة عن مسؤوليتها بل تفرض عليها مزيدا من المسؤوليات ولكن بشكل جديد ومختلف يتلاءم مع ماهية العولمة وأهدافها.

ماهية العولمة:

إن العولمة كمفهوم يصعب تحديده نظرا لتعدد دلالاته واختلاف معانيه، فهناك من الاقتصاديين من يرى أن العولمة مقولة راهنة من مقولات ما بعد الصناعة وما بعد الحداثة ارتبطت بانفجار تقنيات الاتصال على نحو ضاقت معه الأمكنة وتقلصت المسافات إلى حد جعل الأرض قرية صغيرة تسبح في هذا العالم العددي الذي يتشكل من الفضاء والسبراتي. ومن يرى أن العولمة ثمرة طبيعية تمليه رغبة الكيانات الكبرى في التوسع والسيطرة، والهيمنة، وإملاء الإرادة وبسط النفوذ، وهي نتيجة منطقية لزيادة احتياجات المشروعات الكبرى إلى أحوال مفتوحة تنمو بشكل دائم ومستمر، ومن ثم فإن أنماط الإنتاج، التسويق، التموين، التوظيف، كل هذا دفع إلى العولمة، وتطلب من الكيانات الاقتصادية المختلفة سرعة التعولم.

ويتضح لنا أن العولمة وإن كانت ظاهرة قديمة قدم التاريخ إلا أنها اتخذت لها أبعادا جديدة واكتسبت مضامين وجوهر حديث، وهو ما يمكن لنا معرفته من خلال دراسة مفهوم العولمة.

مفهوم العولمة :

عندما يذكر مصطلح العولمة، فإنه يجعل الذهن يتجه إلى الكونية، أي إلى الكون الذي نعيش فيه، وإلى وحدة المعمور من الكوكب الذي

نعيش عليه. ومن ثم فإن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع وأرحب تشمل العالم.

ومن ثم فإن العولمة تأخذ جوانب عديدة من بينها ما يلي :

1. حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفوري دون حواجز أو حدود بين الدول.
2. تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلوماتية.
3. ظهور نفوذ وسطوة الشركات متعددة الجنسيات.
4. ظهور آليات جديدة مستقلة عن الدولة.
5. ظهور فكرة حقوق الإنسان باعتباره إنسان له الحق في الحياة الكريمة، وحقه في الحياة الجيّدة التي تتضمن كونه:

- إنسان فاعل ومتفاعل مع الكون الذي وجد فيه.
- إنسان حر يستمتع بحريته ويمارسها بدون قيود.
- إنسان مبدع خلاق ومبتكر.
- إنسان مثقف واع بقضايا إنسانيته يحافظ عليها ويعيش من أجلها.
- إنسان في كامل وعيه الذاتي، ووعيه المجتمعي، ووعيه الكوني.

لقد استطاعت العولمة أن تقلص حدود الزمان، وأن تختزل الجغرافيا، وأن تفرض نهاية للتاريخ، تاريخ مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، ولتبدأ تاريخ مرحلة جديدة تماما لم يعرفها العالم من قبل.إن العولمة في واقعها وحقيقتها ومضمونها ظاهرة ذات طابع حركي ديناميكي، ظاهرة متكاملة الجوانب والأبعاد، ظاهرة وإن كانت بسيطة في الشكل إلا أنها معقدة في الحقيقة والمضمون. إن هذه الظاهرة فرضت نفسها بشدة بالغة القسوة على مجريات الأحداث إلى الدرجة التي تنوعت فيها الآراء والاجتهادات حتى أن -العولمة بالنسبة للبعض مثل وصف العميان للفيل، كل يصفه حسب المكان الذي يضع عليه يديه-.

وفي ما يلي عرض موجز لجوانب وأبعاد مفهوم ظاهرة العولمة:

- الجانب الأول : الجانب السياسي للعولمة، وهو جانب الحرية الديمقراطية، وهو جانب دفعت من أجله شعوب العالم باختلاف نماذجها ثمن غال من دماء أبنائها، ولا تزال تدفع كل يوم ضريبة دم جديدة من أجل إحقاقها.
- الجانب الثاني : الجانب الاقتصادي للعولمة : إن العولمة في جانبها الاقتصادي اتخذت شكل تيار متصاعد هادر من أجل فتح الأسواق، وانفتاح كل دول العالم على بعضها البعض، وقد تنامى هذا التيار مع تزامن حركة نهوضية من أجل تحديث وتطوير بنية الإنتاج في اقتصاديات السوق المتقدمة، وتصدع نظم الإنتاج في اقتصاديات دول التخطيط المركزي وتحولها إلى اقتصاد السوق، وما أحدثه ذلك من تفكيك هائل وانكشاف خارجي ضخم في هذه الدول.
- الجانب الثالث : الجانب الاجتماعي : عندما تتجرد المجتمعات من ذاتيتها، تصبح مؤهلة لاكتساب هوية جديدة، هوية أكثر اتساعا.

إن العالم في تطوره وتحوله بفعل ظاهرة العولمة يتجه إلى كونية جديدة، كونية تفوق كافة الأشكال التقليدية المعروفة. لقد أدى هذا كله إلى تحول فعال وملموس من الناحية الاجتماعية، حيث اتجهت القوى الاجتماعية من تجمعات قبلية وأسرية، إلى تجمعات دولية وقومية، وتجمعات اقليمية وفوق قومية ... بكل ما بها من ترتيبات اجتماعية، لقد دفع هذا كله تيار العولمة إلى احداث وايجاد مرحلة عدم استقرار، مرحلة إعادة تهيئة وتكييف مجتمع يستوعب كل البشر، كل الناس، بدون أحقاد موروثة، تجمع جدير بالإنسان أن يحيا ويعيش فيه.

- الجانب الرابع : الجانب الثقافي للعولمة : تمثل العولمة تحديا ثقافيا غير مسبوق، تحديا ذو طابع ارتقائي خاص قائم على الاجتياح الثقافي، ويتم هذا الاجتياح على ثلاث آليات هي :

1. تفقد الدول الصغيرة ثقافتها تحت ضغط الاجتياح الثقافي العالمي .
2. ظهور الثقافة الوطنية في صورة باهتة، عاجزة عن تقديم التصورات، وعن تقديم الشخصية الراقية، في الوقت الذي تظهر فيه ثقافة العولمة الزاهية الألوان والارتقائية.

3.ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية إيجاد معايير قيم العبور عليها إلى الثقافة العالمية، وعلى الجميع أن يقبل دعواها، وأن يقبل ويوافق على آرائها، وقبولها كحتمية، وقبولها كبديهية يتم التوصل إليها، وعدم مقاومتها.

4.لقد أصبحت الثقافة العالمية قوة توسعية نافذة إلى داخل كل الوطن، وكل دولة، وكل شعب، ويكفي مجرد حدوث حدث معين أن يلقي بتأثيره وبفرض ذاته على الكون المتسع.

- الجانب الخامس : الجانب التكنولوجي للعولمة : إن العولمة تلغي حدود الدول، وتقيم مجتمعا كونيا متصلا بدون فواصل زمنية، وجغرافية.

إن تكنولوجيا العولمة لم يقتصر جانبها الرئيسي على تكنولوجيا الاتصال، بل إنها أحد القواعد الرئيسية التي قامت وبنيت عليها، فالعولمة تطور طبيعي نحو العالم بدون فواصل مكانية أو زمانية، عالم بلا حدود جغرافية أوسياسية أو اجتماعية.إن العولمة بذلك سلسلة مترابطة من العمليات التكنولوجية التي تتم بهدف تحرير الأسواق، وجعل دور الدول قاصرا على أنشطة معينة بذاتها، ويمكن التنازل عنها مستقبلا لصالح كيانات أكبر حجما من الدول، وما يتطلبه ذلك من تطبيق أوضاع تكنولوجية فائقة القدرة، وقد دعمت هذه التكنولوجيا من قدرة المشروعات على التعولم عن طريق :- الحث والدفع التكنولوجي للابتكار.

- سوق مفتوح متعطش دائما إلى المنتج المبتكر.
- تقسيم عمل على النطاق الدولي للمنتجات.
- تحقيق قدرة هائلة على التعولم في كافة المجالات.

ولكن وهو الأهم تحول المنظومة الإنتاجية بالكامل إلى منظومة عالمية، سواء في ما يتصل بشكل المنتجات أو أداء الخدمات، أو مكونات هذه المنتجات ....الخ.

عولمة تكنولوجية متجددة ابتكارية :

ومن خلال التطور السريع المتلاحق والذي يسفر عن تكنولوجيات متطورة وأكثر فاعلية، تزداد وترتقي عمليات العولمة.

- الجانب السادس : الجانب القانوني للعولمة : تؤثر العولمة تأثيرا كبيرا على القوانين والتشريعات من حيث توحيد المجموعات القانونية، وتوحيد المفاهيم والمصطلحات القانونية، بل وازدياد دور التشريع الدولي في حكم العلاقات ما بين الدول وداخل نطاق كل دولة أيضا. وأصبحت حاكمة وضابطة للمعاملات في الأسواق الدولية المختلفة، ومن ثم فإن توحيد التشريعات سوف يدفع إلى انتشار الممارسات عبر الحدود، وسواء كانت هذه الممارسات : اقتصادية، سياسية، ثقافية، اجتماعية، انسانية.

وقد ساعد على عملية العولمة، تزايد الدور المؤسساتي للمؤسسات الدولية. وإذا كانت العولمة تعني بالتوازن وبالحقوق المتوازنة لكافة البشر، فإنها لا يمكن أن تتحقق بدون توافر أطر قانونية وتشريعية مناسبة، ومن ثم سوف يزداد دور التشريعات الدولية، ويتجه معها العالم إلى وحدة تشريعية حاكمة ومتحكمة في كل شيء حتى تؤتي العولمة ثمارها وتأثيرها، ويصبح التشريع الدولي هو الأساس وهو المرجع عند الاختلاف، وتزداد معه أيضا دور المحاكم الدولية وامتداد سلطة التنفيذ إلى خارج الدولة.

- الجانب السابع : الجانب الإنساني للعولمة : إن العولمة في إطارها العام لا تتحدد فقط بجوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أو بالهياكل المؤسساتية والبنى التحتية، ولكنها إضافة إلى ذلك هناك الجانب الانساني للعولمة، وهو الجانب الأكثر فاعلية في تحديد هوية حقيقة مضمون العولمة. فهذا الجانب يتضمن أن العولمة تستهدف أول ما تستهدف الإنسان، تستهدف حريته وتستهدف حياته، وتستهدف معيشته، وتعمل على الارتقاء بها جميعا. فعلى سبيل المثال تمثل قضية الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير أساس نظام العولمة، وتمثل أيضا عدالة التوزيع وحقوق الإنسان محور جهد العولمة.

ومن هنا يمكن القول أن العولمة وإن كان تيار متدفق ومتصاعد القوة إلا أنها أيضا وبنفس الدرجة مجموعة من العمليات والأنشطة التي تمارس للوصول بالعالم إلى الوحدة الكونية، وهو ما يرتكز على الجانب الانساني للعولمة.

إن هذا كله يقودنا لنقرر، أن العولمة في ماهيتها، ما هي إلا تطور وحدث طبيعي، وهي نتيجة حتمية للتطور الاقتصادي نحو التكتل والاندماج وتوسع نطاق السوق، وخفض التكلفة، وهي تطور طبيعي نتيجة لثورة الاتصالات وثورة التكنولوجيا التي تبحث عن الأفضل والأرقى والأحسن.إننا عندا ننظر إلى العولمة، فإننا ننظر إلى المستقبل، وعندما ننظر إلى المستقبل، فإننا في الواقع نبدأ في مراجعة سريعة للماضي، وإحاطة شاملة بالحاضر حتى لا ندفع ثمنا باهضا للوصول إليه، أو للعولمة.

إن العولمة أصبحت ظاهرة ذات طبيعة خاصة، تستمد قوتها من قوة العصر الذي تعيشه، فهي تيار متجدد، وهي تيار حتمي لا مفر من قبوله، وهي تطور من أجل صالح البشرية جمعاء، ومن ثم تحتاج منا لدراستها وتحليلها، وإلى معرفة الأسس والمبادئ القاعدية التي ترتكز عليها، والنتائج والأهداف التي تسعى للوصول إليها.

أهداف العولمة :

لقد رأى البعض أن العولمة هي ذوبان كل ماهو محلي في فكرة عالم واحد يحرص عليه الجميع.

لقد أصبح ملحوظا تواجد الجنسيات المختلفة في المشروع العالمي الواحد، واختفاء جنسية الأموال المستثمرة في تلك المشروعات، وأصبح ملحوظا التواجد الانتشاري شديد الاتساع لفروع المشروعات، ولمنتجاتها، ولعلامتها التجارية، ولخدماتها التي تقدمها... لقد أصبح هذا كله هو التركيبة والمزيج المتعولم الذي يزداد وينمو الاحساس به، ويسيطر كاتجاه فارض لذاته ولنفسه... لقد كان الفاعل دائما وراء الفعل، أما في العولمة فقد حدث شيء جديد، أصبح الفاعل والفعل متزامنان ملتصقان، وهو ما يتم لمسه ما بين العولمة، والقابلة للتعولم، وقوى الفعل الصانعة لها... ولعل هذا ما يقودنا إلى معرفة أهداف العولمة وهي:

أولا : تفكيك وإزالة وإذابة الحدود الفاصلة والحواجز العازلة، وإنهاء التوجهات الجزئية، والاقتصاد المحلي، والانعزال القومي، والتشرنق والتقوقع الذاتي...وتفجير كل هذا من الداخل... وباعتبار هذا كله عبء ثقيل على كاهل عملية العولمة، فضلا عن كونه هدر للموارد النادرة، أو

سوء توجيه لها... ومن هنا تأتي العولمة كضوء منير لنهاية نفق طويل مظلم سارت فيه الانسانية عند اختيار بعض الدول لمنهج الانغلاق على الذات.

ثانيا : بناء هياكل انتاجية مثلى لإنتاج السلع، وتقديم الخدمات، وصناعة الأفكار على مستوى الحجم الاقتصادي الكبير الذي يأخذ في معطياته السوق الكوني الجديد، والذي يفرض على الأطراف المختلفة الاعتراف به، ليس باعتباره واقعا جديدا فقط، ولكن باعتباره الأفضل والأرقى والأحسن، وباعتباره متمتعا بمزايا تنافسية فائقة وفارقة، ومتميزة عن الآخرين.

ثالثا : إعطاء الفرصة كاملة لقوى الابتكار والخلق والإبداع والتحسين والتطوير والتنمية والانتماء لتتفاعل مواهبها وملكاتها بشكل كامل ومتكامل يتم من خلاله الوصول إلى :

- منتجات سلعية وخدمية وفكرية مبتكرة وجديدة.
- نظم تسويق عالية الكفاءة
- أدوات تمويلية مبتكرة.
- نظم تشغيل وإدارة للموارد البشرية حافزة على تعظيم الانتاجية وتحسين الأداء.

رابعا : الانطلاق إلى آفاق شاسعة، وإلى نطاقات واسعة، وإلى مجالات غير مسبوقة تضفي قدرا كبيرا من التقدم، والرقي، والتنمية المتواصلة المستدامة، والتحول بها لصالح الانسانية، وتحالف البشرية في إطار الكون الفسيح للتعاظم.ومن ثم فإن مجموعة الأهداف الحيوية للعولمة هي :

1.سوق عالمي واحد مفتوح بدون أي قيود أو حدود أو حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو معازل جنسية أو عرقية أو فنية أو نفسية عاطفية.

2.إن العالم وحدة واحدة متكتلة ومندمجة ويهدده خطر واحد يتعين مواجهته والتعامل معه بجهد مشترك وتعاون كامل من الجميع.

3.إن التجانس العالمي يأتي من خلا ل التعدد والتنوع والاختلاف القائم بين البشر وفروقات اهتمام كل منهم

4.إن العالم يتحدث الآن بلغات مختلفة تتجه جميعها إلى اللغة الاصطلاحية الواحدة ومن خلال هذا التقارب سيأتي اليوم الذي يتحدث فيه العالم لغة واحدة.

5.إن العالم تذوب فيه القوميات تحت ضغط وحدة الانسانية، وحق الحياة، وحق الوجود وحق الاستمرار وحق الاستمتاع.

6.إن العالم يتعمق داخله الآن الشعور والإحساس بالبشرية الإنسانية بعد تجربة مريرة خاضها العالم بدوله وشعوبه وحضاراته تحت وهج الاستعمار.

7.إن العالم يشهد الآن انبعاث رؤية جديدة للعولمة كتيار كهربائي يداعب طموحات البشر باختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم ويخاطب أحلام وآمال كانت نائمة فاستيقظت.ومن ثم فإن العولمة لا تملك فقط قوة الانتاج، ولكنها أيضا تملك قوة التسويق، وقوة التمويل، وقوة الكوادر البشرية، وهي تحكمها مصالح، وهي ذات طابع انحيازي لصالح البشرية جمعاء، إن العولمة أدت إلى جعل كوكب الأرض وعاء واحدا يعيش ويتعايش الجميع فيه.

بعض المراجع والمقالات المعتمدة حول بحث العولمة وأهدافها

1.د. جلال أمين – العولمة والدولة. ورقة قدمت إلى : ندوة العرب والعولمة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت 18-20 كانون الأول/ديسمبر 1997.

2.د.جلال أمين –الدولة الرخوة في مصر- سينا للنشر 1993.

3.د.محمد الأطرش. العرب والعولمة: مالعمل؟ ورقة مقدمة إلى : ندوة العرب والعولمة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت 18-20 كانون الأول/ديسمبر 1997.

4.د.سمير أمين. في مواجهة أزمة عصرنا-مرجع سابق ص (71).

5.د.نبيل رزوق.حول العولمة والنظام الاقتصادي العالمي الجديد .

6. د.إسماعيل صبري عبد الله الكوكبة- الرأسمالية العالمية في مرحلة مابعد الإمبريالية- .

7. سوزان فوسبر –من الثورة إلى الدولة- أحد البحوث المقدمة إلى ندوة أبحاث فكرية مابعد الرأسمالية .

8. فالح عبد الجبار –ماركس والدولة- النظرية الناقصة ؟ بحث منشور مع آخرين (ندوة أبحاث فكرية) بعنوان مابعد الماركسية : إعداد فالح عبد الجبار منشورات دار المدى للثقافة والنشر – دمشق 1998 . ص (200-201) .

9. جورج سول –المذاهب الإقتصادية الكبرى- ترجمة د.راشد البراوي- نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر- القاهرة . الطبعة الرابعة 1965 .

10. ميشال بودوجيل دوستالر- كينز ... أو روح المسؤولية . لوموند ديبلوماتيك كانون الثاني/يناير 1997- والكاتبان أستاذان في الاقتصاد الأول بجامعة باريس والثاني بجامعة كيبك في مونت ريال .

11. روبرت هيلبرونز- قادة الفكر الاقتصادي- مكتبة النهضة المصرية- ترجمة راشد البراوي .

12. د.منير الحمش دراسات في المالية العامة واتجاهاتها الحديثة- منشورات مؤسسة الوحدة 1986 .

13. د.نصر محمد –العولمة كمفهوم في السياسة والثقافة- 1999.

14. سمير أمين –امبراطورية الفوضى- دار الفارابي بيروت 1990 .

15. فالنتين –النظام الاقتصادي الدولي الجديد بين انصاره وخصومه .

16. بول سوزي – شركات متعددة الجنسيات والمصاريف – مجلة الاجتهاد .

17. هانس بيتر مارتين . هارالد شومان –فخ العولمة- ترجمة عدنان عباس علي 1999.